



الباب الثاني
الجهاد الأكبر

المقدمة

تميز الإسلام بأن رؤيته للأديان السماوية السابقة عليه رؤية منطقية عادلة تجعله مرتبطاً بها، متواءماً معها فهو يرتبط باليهودية وبالمسيحية، إن مصدر الرسالات كلها واحد، والإسلام كرسالة نزلت على (محمد) ﷺ، هو رسالة مكملة وجامعة وخاتمة للرسالات السابقة، وقد أنزل الله - عز وجل - كل الديانات هداية للبشرية، ومصدر إلهام لتقدمها وكانت الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم مناسبة مع الظروف التي عاشها البشر في عصرها، حتى أراد الله سبحانه أن يكون الرسول خاتم الرسل وتكون رسالته خاتم الرسالات لتصلح لكل زمان ولكل مكان، وقد استطاع الرسول ﷺ برسالته إلى البشرية تغيير وجه الدنيا، وجاء بالإسلام العظيم رسالة إنسانية حضارية للبشر جميعاً رسالة حققت التواصل مع كل البشر في سلام ومحبة وساندت قضايا الإنسان وأمنه في وطنه، وعرضه، ودمه.

وسنظل نطمح أن نتأسى بسيرة النبي الكريم وما أرسى من قيم المحبة، والسماحة، والاعتدال وحسن الخلق، والتسامح، والوسطية، وستظل سلوكيات النبي ﷺ في أوقات الحرب والسلم قدوة للبشرية، وستظل سيرته الشريفة في معاملته مع مختلف الشعوب والأمم مثالا يحتذى به البشر في كل زمان وفي كل مكان حتى تتحقق سعادة الإنسان.

لقد نشر المسلمون حضارتهم في شتى أنحاء العالم، وحملوا مشاعل

(الجهاد) من أجل المعرفة والعلم حتى كل ربوع العالم فى دور حضارى متميز فى العلم والفن والأدب وعلوم الدين.

إننا حين نعيد تصفح تراث (الجهاد) فى حضارتنا الإسلامية، نزداد ثقة فى أنفسنا ونعتز بانتمائنا إلى الأمة العربية الإسلامية، ونحاول أن نعيد لها ملامحها العظيمة، ومجدها التقليد، ونثبت دائما للعالم أن الإسلام لم يكن قط داعياً للإرهاب.

وآمل أن أكون فى هذه الدراسة قد استطعت تقديم صورة صحيحة للجهاد فى الإسلام تعبر عن مفهومه وضوابطه، وأنواعه، وبعض مما حققه النبى ﷺ والسلف الصالح من بعده.

والله سبحانه ولى التوفيق.

الجهاد الأكبر وأهميته وسبل تحقيقه

حين تحدث أمور حاسمة في حياتنا الاجتماعية، أو السياسية يكون علينا أن نتأمل ما يحدث في ضوء طبيعة حياتنا، لنقف على أسباب تقدمنا أو تخلفنا عما كنا عليه طوال فترات تاريخنا الماضية، ومن أهم أسباب هذا التراجع الحضارى الذى حدث لأمتنا العربية بعدنا عن القيم الإيجابية التى توجهنا إليها كل الأديان السماوية، فى الوقت الذى التزم فيه الغرب بقيم تقود إلى التقدم مثل إتقان العمل واحترام الوقت، وحسن الإدارة ... وغيرها من القيم العملية.

وقد استطاع الإسلام فى الماضى، بمعجزته العظيمة (القرآن الكريم)، أن ينقل الأمة التى كانت تتكون من قبائل منعزلة عن الحضارة، إلى أمة ذات علم وحضارة كان لها تأثيرها الكبير فى العالم كله، حيث قدم القرآن الكريم منهجا عظيما يعين الإنسان على جهاد النفس، وتركيتها، وقيامها بدورها العظيم فى إعمار الحياة حتى تصل إلى شعور الرضا والسعادة وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نموذجا فذا للإنسان الرائع فى خلقه وسلوكه إذا اقتدى به الإنسان استطاع المجتمع التقدم والرفعة واستعادة الحضارة والرقى. وقد دعى إلى استنفار الجهد وجهاد النفس؛ (الجهاد الأكبر) ببذل الجهد فى صالح الأعمال، واتباع ما دعت إليه الآية الكريمة: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ النحل (٩٧).

فمن يجاهد نفسه، ويلزمها بالعمل الصالح سواءً كان رجلاً أو امرأة، وعد الخالق سبحانه أن يجعل حياته أو حياتها سعيدة طيبة ويجزيه أو يجزيها خير الجزاء، بالجنة في الآخرة.

إن العمل بما يوصى به القرآن الكريم، وبما يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .. ييسر الحياة الطيبة السعيدة للإنسان ...

كما ييسر للإنسان جهاده وانتصاره على نزوات النفس، وإلزامها بكل ما يصونها، ويحفظها نقية، كما فطرها الله، هانئة كما يحب لها الخالق سبحانه، ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم سعيدة، تحيا حياة طيبة في الدنيا، ويرضى عنها الخالق ويدخلها الجنة في الآخرة ويكون (جهاد النفس) بمغالبة الهوى فلا يتبع الإنسان هوى نفسه الذى يوقعه فى كل ما يورده موارد التعاسة والأخطاء.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِبْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْرَةَ غَشُوٰةٍ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ (الجاثية ٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَنَقِيسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ (سورة الشمس الآيات ٧-١٠).

وجهاد النفس، وتطهيرها، له سبل كثيرة منها:

١- الاستقامة

والاستقامة على طريق الخير، تكون بالعفة، والاحتشام، وغض البصر عن المحرمات، والعمل بقول الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ

﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
 أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿سورة المؤمنون الآيات من ١ - ٧﴾.

إن في الاستقامة سعادة الرجل، والمرأة والأسرة، ورفق المجتمع.
 فالإنسان مسئول، وفي مجاهدته لنفسه والزامها بكل ما يبسر له
 القيام بمسئوليته تحقيق لسعادته، وسعادة أسرته ومجتمعه، قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (سورة المدثر الآية ٣٨).
 وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
 أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٦).
 وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (سورة
 الزخرف الآية ٤٤).

وقد بشر الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين ينجحون في جهاد النفس
 بالسعادة في الدنيا وبالجنة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا
 بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة
 البقرة الآية ٢٥).

وقد حملت آيات قرآنية أخرى (البشرى لهم) منها قوله تعالى:

﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَامِدُونَ الْمُسْتَجِيرُونَ الزَّكِيمُونَ

السَّاجِدُونَ لِلْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿سورة التوبة الآية ١١٢﴾.

لقد بشر الله الذين نجحوا في تزكية أنفسهم ومجاهدتها لتناى عن

كل شر، قال تعالى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٧﴾ الَّذِينَ قَالِ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ
جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٨﴾
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو
فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿سورة آل عمران الآيات ١٧١ - ١٧٤﴾.

إن هؤلاء الذين تدربوا على جهاد أنفسهم (الجهاد الأكبر) حتى
استطاعوا تقويمها وإيصالها إلى أجمل درجات الإيمان والتقوى
والاستقامة وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿سورة التوبة الآية ٧١﴾.

وتفاوت درجات مجاهدة النفس، كل إنسان حسب قدرته، ومرتبته،
ودرجة. حيث تكون المجاهدة بكل طاقات العبادة، والإيمان، والتوبة والتقوى...
قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكَتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿سورة فاطر الآية ٣٢﴾.

أما (الظالم لنفسه): فهو من يكتفى بأداء الفرائض، وقد يقصر فيها ويقتصر على ترك المحرمات، وقد يقع فيها.

و(المقتصد): هو من يلتزم بأداء الفرائض، ولا يقصر فيها ويلتزم بترك المحرمات، ولا يتهاون أى لا يترك نفسه يقع فى شيء منها. لكن (المفلاح الحقيقى) فى الجهاد الأكيز للنفس: فهو من لا يكفيه ترك المحرمات بل يتقى الشبهات استبراءً لدينه وعرضه، ويدع المكروهات ويجاهد نفسه بترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس.

ويتقرب إلى الله بالنوافل، ويتحرى الحق فى كل قول أو فعل فيصدق عليه ما جاء فى الحديث الصحيح (لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها) البخارى من حديث أبى هريرة.

وقد تميل النفس إلى فعل السىء، من الأفعال بدافع من (حب الدنيا) أو (حب المال) فيكون على الإنسان أن يعيدها إلى الحق، وتقوى الله، وحسن الخلق ويجاهدتها، ويأخذها إلى كل سبيل طيب يسعدها: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت/ الآية ٦٩).

والفارق كبير بين الإنسان الذى يعمل بما تعلم من شئون العبادات ويأخذ نفسه بالبعد عن الحرام، والالتزام بما أحل الله ... وذلك الذى يتبع هواه، وقد علم بآيات الله لكن لم يعمل بها، فضرب الله له مثلا بالكلب فى أسوأ صورة له. قال تعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَهُ

ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبِعهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ (الأعراف ١٧٥ - ١٧٦).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ (الفرقان ٦٨ - ٧٠).

٢- القرآن الكريم

ومن أهم السبل التي تمكن الإنسان من تزكية نفسه، والسمو بها، وتدريبها وتمكينها من الاستقامة، وحسن الخلق، وعمل ما يسعدها في الدنيا، ويرضى الله سبحانه وتعالى تعلم القرآن الكريم، وفهمه، والاستجابة العملية لأوامره، والانتهاز عن نواحيه.

إن القرآن الكريم، خطاب للإنسان في كل مكان وكل زمان، وقد حملت آياته الكريمة كل المعاني التي تسعد الإنسان، وتساعد على تزكية نفسه والسمو بروحه من خلال الأفعال، والأقوال التي تؤهله لإعمار الكون العظيم. لقد كرم الله سبحانه الإنسان وجعل العبادات التي فرضها عليه وسيلة للسمو بروحه ومجاهدة نفسه، وتأهيله له لعمارة الكون ليستحق أن يكون مستخلفاً على الأرض، وتحقيقاً لغاية الخالق سبحانه ليكون جديراً بالتكريم، والتحرر من العبودية فعبوديته هي لله الخالق وحده.

والإقبال على القرآن الكريم، وتدبر آياته الكريمة يشعر الإنسان بالطمأنينة والراحة، وتزداد آثاره الرائعة العميقة فى نفس وروح الإنسان حين يهتدى بهديه، ويعمل بأوامره، وينتهى عن نواحيه، لأنه نزل من الخالق سبحانه لإسعاد الإنسان، وصيانة نفسه، وروحه، قال تعالى:

﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء - الآية ٨٢).

وآيات القرآن الكريم تحمل بين طياتها (الشفاء) و(الرحمة) للمؤمنين. وتحقيق (الهدى) للنفوس، فتصفى وتهدأ قال سبحانه: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢).

لقد أودع الله سبحانه فى القرآن الكريم كل الهدى والنور للبشر.

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة المائدة - الآية ١٥، ١٦).

ويجد الإنسان فى تلاوته للقرآن الكريم، والعمل بما يتعلمه منه الهدى والنور، والصيانة والشفاء لنفسه وروحه.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس - الآية ٥٧).

إن الإنسان يجد السعادة فى شعوره أن لوجوده غاية ولحياته رسالة؛ ولنفسه كرامة، وأنه قوى أمام الأحداث وتجاه شهوات النفس، وأنه قادر على

تحقيق الغايات، وأداء الواجبات، وهو إذا حقق هذه المشاعر اطمانً وشعراً بالأمن النفسى يغمر وجدانه، وروحه، ولا سبيل إلى ذلك كله إلا بالإيمان بمبادئ الإسلام وقيمه التى تحقق للإنسان كل الصيانه لنفسه، والكرامة لحياته. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾. [سورة الإسراء آية ٧٠]

إن الإنسان مخلوق كريم على الله، خلقه ربه فى أحسن تقويم وصورة فأحسن صورته، خلقه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وميزه بالعلم والإرادة وجعله خليفته فى الأرض ومحور النشاط فى الكون، وسخر له ما فى السماوات والأرض جميعاً، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة فكل ما فى الكون له ولخدمته.

وقد وضع الإسلام الدستور الذى لا يترك الإنسان تائها لا يدرى ماذا يأخذ، وماذا يدع، وكيف يختار موقفه وطريقه فى الحياة، ليحقق لنفسه الصيانة، والأمانة، والسعادة، والاستقرار فوضَّح الإسلام الطريق فى القرآن الكريم، بما يضمن السعادة والرضا بين أفراد المجتمع جميعاً. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الإسراء - الآية ٩).

وضمنت تشريعات الإسلام وقيمه تحقق صيانة النفس الإنسانية، وسعادتها فى الدنيا وفى الآخرة، لكنه حمل الإنسان مسؤولية الالتزام بهذه التشريعات فى سلوكياته وفى أقواله وأفعاله جميعاً، حتى يكون له ما يحب، ويتمنى.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (سورة الإسراء - الآية ٣٦). وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (سورة المدثر - الآية ٣٨).

وفى جهاد النفس وإلزامها بكل ذلك ما يحق للإنسان كل الرضى والسعادة.

٢- الاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (سورة الأنفال - الآية ٢٤).

على الإنسان أن يتعرف إلى نفسه، وتفكيره ونزعاته، وسلوكياته، ويتأمل دوافع هواه ويتنبه لوساوس الشيطان، وعليه أن يحاول دائما مجاهدة نفسه، والتغلب على عيوبه، والتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، وبأخلاق الجيل العظيم الذى رافقه، وكان معه. وقد وصفها الله سبحانه بقوله: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَيْبٍ أَخْرَجَ مِنْهُمُ فَذَارَهُ، فَمَا سَتَلَطُّ فَأَسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ، يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الفتح - الآية ٢٩).

وهذه الآيات تؤكد أهمية الالتزام بتأدية العبادات، لأنه لا شك أن أداءها على خير وجه، يرتقى بالروح، فتخلق فى عالم نورانى، عالم السعادة والسكينة الصافية.

وبذلك يحقق الإنسان الفلاح والنجاح في حياته. ورضى الله سبحانه عنه قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (١) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، [سورة الشمس آية ١٠٦] إن الفلاح لا يتحقق للإنسان إلا بتزكية نفسه وجهادها، فالفلاح مرتبط بتزكية النفس وبذلك ترقى السلوكيات، والمعاملات فترقى المجتمعات. إن الله سبحانه يريد لنا العزة والرفعة.

والعبادات جميعها من صلاة وزكاة وصوم وحج تساعد الإنسان على السمو بروحه وتنأى بها عن الشهوات.

فالصلاة تساعد الإنسان على مغالبة الهوى أما تركها فيدفع إلى الضلال، وضعف الإرادة، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَدِّهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٥٩) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (سورة مريم - الآيات ٥٩، ٦٠).

فى أداء الصلاة تحقيق للقوة، والإرادة الإنسانية تمكن من فعالية هواه، ومجاهدة نفسه قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء»... من صحيح مسلم من الأربعين النووية.

٤- ذكر الله

إن الاستعانة بذكر الله مجاهدة للشيطان لا تترك له مجالاً للوسوسة بأى خاطر شيطانى أو فعل يقود إلى الخطأ والضلال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (سورة الأعراف - الآية ٢٠١) يا لها من مجاهدة عظيمة نسلح الإنسان ضد نوازع هوى النفس الأمارة بالسوء

أحيانا ووسوسة الشيطان السيئة دائما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١١﴾ وَسِيحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿﴾ (الأحزاب - الآيات
 ٤١، ٤٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ
 قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿﴾ (سورة
 الأنفال - الآية ٢).

إن البعد عن قيم الإسلام ومبادئه من أهم أسباب إحباط الأعمال وعدم
 تحقق الرضا والسعادة للإنسان.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿﴾ (سورة
 محمد - الآية ٩)، وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ
 اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿﴾ (سورة محمد - الآية ٢٨).

إن خالفنا سبحانه لم يترك الإنسان تائها، ولم يرد له إلا الرضى
 والسعادة فى الدنيا، والجنة فى الآخرة وكرمه، ووضح له فى كتابه
 العزيز ما له من حقوق وما عليه من واجبات، حتى تعلق مكانته على
 جميع خلقه ويكون قادرا على إعمار الأرض. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿﴾ (سورة الأحزاب - الآية ٧١).

٥- التوبة والاستغفار

وكلما اجتهد الإنسان فى التقرب إلى الله وتزكية نفسه، فهو يتوب
 إلى الله ليحظى رحمته، وعفوه.

فقد كتب سبحانه على نفسه الرحمة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ
 نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿﴾ (سورة الأنعام - الآية ٥٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (سورة البقرة آية ٢٢٢)، وقال سبحانه: ﴿وَأِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (سورة طه - الآية ٨٢).

وتؤكد آيات قرآنية كثيرة هذه الحقيقة العظيمة منها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (سورة القصص - الآية ٦٧).

الآيات الكريمة تعد التائب بجنات تجرى من تحتها الأنهار، قال تعالى: ﴿بَنَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التحريم - الآية ٢٨).

والتائب يثق في مغفرة الله ورحمته مما يشعره بالسعادة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر - الآية ٥٣).

والتوبة يلازمها الاستغفار

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِزِلْ عَلَيْكُمْ غَنًّا وَيُجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (سورة نوح - الآيات من ١٠ : ١٢).

والاستغفار يطمئن النفس ويحقق لها الراحة وهدوء البال.

ونكر الله طريق من طرق جهاد النفس وإلزامها بكل ما هو جميل فعلا

وقولا . وهو سهل ميسر ، لا عننت فيه ولا مشقة . لأنه يعتمد على إنتاج شريعة الإسلام ، التي أرادها الخالق سبحانه وجعلها صالحة لكل زمان ومكان .

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ . والله سبحانه هو العليم بما يصون النفس البشرية ويصلح حالها ، ويسعدها . والخبير بما ينفع الناس في معاشهم ومعادهم وهو سبحانه الرحيم بهم .

وذكر الله يساعد الإنسان على السمو بنفسه ومجاهدتها الجهاد الأكبر ، وإصلاحها ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ [سورة طه - الآيات من ١٢٤ : ١٢٦] .

لقد ضمن الإسلام للإنسان حين ينجح في جهاد النفس (الجهاد الأكبر) ، حياة طيبة عامرة بالسعادة ، والأمان ، والصيانة لنفسه وروحه وبدنه . كما أعد له حياة باقية خالدة في جنة الخلد .

إن جهاد النفس والتزامها بالعقائد التي أمرنا الله سبحانه بالالتزام بها . وحرصها على القيام بالعبادات التي فرضتها علينا تحقق للإنسان سلامة الروح والبدن .

ذلك لأن الله سبحانه خلق الإنسان وأحبه وكرمه ، وجعله خليفة على الأرض يعمرها وينعم بما يسره له عليها .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّيْنَاهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَا لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿ [سورة السجدة - الآيات ٧ ، ٨ ، ٩] .

إن الإسلام كما تتجلى أفكاره ومناهجه ورؤاه في كل آية من آيات القرآن الكريم يقدم صورا كثيرة تتكامل في انسجام تام مع بعضها لتعبر عن حب الخالق سبحانه وتعالى للبشر، ومعاونته لهم ليجدوا الطريق الواضح حتى يحققوا لأنفسهم السعادة والاطمئنان وراحة النفس، وهناءة الروح، وصيانة النفس والنأى بها عن الحزن، والألم، والإحباط، والقرآن الكريم يحث الإنسان على الاستغفار والتوبة وعدم اليأس من رحمة الله، ولاشك أن هذه الآيات الكريمة تمنح الإنسان الفرحة والثقة بالنفس والإقبال على الخير ما دامت الفرص سانحة لرضا الله، والتمتع برحمته وعفوه.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران ١٣٥].

ويقول عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿ إِنْ جَحْتَبُوا كَبَابًا مَا نُثَبِّتْ عَنْهُ نُكْفَرُ عَنْكُمْ سَكِينَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية ٣١].

إن تأمل هذه الآيات الكريمة وتفهم مراميها يبعد الحزن، والكرب عن النفس الإنسانية. ويقرب الإنسان من الله سبحانه، ويدفعه إلى الخير والتوبة عن المعاصي لينال رحمته وغفرانه.

هل يمكن أن يقرأ إنسان سليم الفطرة هذه الآية الكريمة دون أن يسعى جاهدا أن يتوب إلى ربه لينال غفرانه ورحمته التي وسعت كل شيء.

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
[سورة المائدة ٧٤].

إن الاستغفار يفرج الكرب، ويبعد الهم عن النفس وقد وعد الله بالاستجابة والمغفرة، ومنح الرزق الحلال، والذرية الصالحة، والغيث الغزير قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِزِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾
[سورة نوح ١٠ : ١٢].

إن الاستغفار وذكر الله، يعون النفس، ويزكي الروح، ويبعث الأمن في الوجدان قال تعالى: ﴿ الْأَلْبَسَكَرِ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد الآية ٢٨].
إن الله سبحانه خلق الإنسان، وهو سبحانه يعلم ما يسعده، وما يحزنه، وما يفيدده وما يضره، وهو سبحانه حين يأمره أوامر معينة أو ينهاه عن فعل أشياء أخرى، فهو عليم خبير سبحانه بما يحمل الخير للإنسان، وما ينتج عن فعله شر له وأذى.

والمسلم حين يذكر ربه ويسبحه لاشك يشعر بالأمن، وسعادة الروح كنتيجة سريعة لذكره ربه وتسبيحه له، لذا جاء قول الخالق سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١١﴾ وَسِيحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾
[سورة الأحزاب الآية ٤١-٤٢].

وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ أَنفَكُم مِّنْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة المنافقون الآية ٩].

حتى في وقت الأزمات الكبرى والحروب يخاطب الخالق الذين آمنوا بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ

كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [سورة الأنفال الآية ٤٥].

إن الخالق سبحانه بوعده بالمغفرة يبعد النفس الإنسانية عن مشاعر اليأس؛ المحبطة؛ ويغنيها بالأمل والأمان والطمأنينة، ويسعدها بالتأمل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَبْنَئُ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكٰفِرُونَ﴾ [سورة يوسف ٨٧].

٦- حسن الصحبة

ومما يساعد الإنسان على جهاد النفس وتزكيتها وتحقيق السعادة لها (حسن الصحبة) واختيار الأصدقاء الأخيار الصالحين. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾ (سورة الكهف - الآية ٢٨).

فللصداقة أثرها في النفس وسلوكها وتوجهها قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)، فما أجمل الصداقة التي تربط بين أناس يتواصلون بمجاهدة النفس هذا الجهاد الأكبر الذي يدفعها دائما إلى فعل الخير، والانتها عن الشر هؤلاء الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس).

٧- طلب العلم

والاجتهاد فى طلب العلم من أهم السبل التى تحقق للإنسان السعادة والرقى فعلى الإنسان أن يجتهد فى (طلب العلم) ويسعى فى طلب المزيد منه قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (سورة طه - الآية ١١٤) فطلب العلم جهاد وعبادة قال صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقا يطلب فيه علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنة). (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع).

وقال صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلّم القرآن وعلمه) رواه البخارى عن عثمان بن عفان).

وقد ذكر الله تعالى العلم مقترنا بالإيمان ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة - الآية ١١).

كما ذكر الذين أوتوا العلم وأنهم يعرفون قيمة القرآن ويؤمنون به ويتأثرون بما فيه. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (سورة الإسراء - الآيات من ١٠٧ : ١٠٩).

إن العلم يزيد الإنسان صلابة، وإيمانا، وفتنة وقدرة على تزكية النفس وبصيرة ونورا وقدرة على مقاومة الشهوات، ومجاهدة النفس. وقد اهتم الإسلام بالعلم؛ فقد بدأ الخالق سبحانه دعوته لتعلم الإسلام، بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَىٰ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢)

أَفَرَأَىٰ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿﴾ (سورة العلق - الآيات من ١: ٥). ولا شك أن التعليم يمنح الإنسان ثقة، ومقدرة على النجاح في حياته، ومجاهدة نفسه والزامها بكل سلوك طيب.

وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة بالعلم والعلماء منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر - الآية ٩).

وجعل الإسلام العلم أساسا هاما لمعرفة الله وطاقته وخشيته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (سورة فاطر - الآية ٢٨). لقد أكد القرآن الكريم في كثير من الآيات القرآنية الكريمة فضل العلم وأهميته، فوردت كلمة (علم) في القرآن الكريم أكثر من سبعمئة مرة وحثت على طلب العلم. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (سورة طه - الآية ١١٤).

إن العلم الذي يحث عليه الإسلام هو كل علم يساعد على إعمار الحياة وإثرائها بالجمال، والمحبة، والسلام والأمان، والخير. ويساعد على بناء الشخصية الجميلة المتوازنة القادرة على العطاء وإسعاد نفسها، وإسعاد من حولها.

إن الإسلام قد أوجب طلب الحق وترك الاستسلام لما يصرف عنه من الأهواء والفتن، فالحق هو العلم، وهو اليقين بكل ما هو جميل وبناء ومعمر للحياة، ومتوجه إلى الخير.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة آل عمران - الآية ١٨).

٨صلة الأرحام وأثرها فى تزكية النفس

إن (صلة الأرحام) سلوك يأمر به الإسلام ويؤكد أهميته، وضرورته لتحقيق تطهير الأرواح، وصيانة النفوس، فى حياة هانئة سعيدة تسودها الصلات الحميمة والمحبة العظيمة، والسعادة الوارفة.

وقد تحققت تلك الصورة للمجتمع الإسلامى حين اهتم أفراده بالاقتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فاستحقوا مخاطبة الله سبحانه لهم بقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة آل عمران - الآية ١١٠).

إن التراحم فطرة طبيعية فى الإنسان تنميها الأسرة بالتربية الصالحة وقد أكد القرآن الكريم على أهمية صلة الرحم، والوالدين، والأهل والأقارب، ولم يغفل الصلة الحسننة باليتامى والمساكين والجار ذى القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وقد رتب العلاقات الاجتماعية، وفقا لأهميتها، حتى يضمن قيام المجتمع الإسلامى المتحاب، المتكافل، المؤسس على نظام من العلاقات الاجتماعية التى تبدأ بالمحبة، والإحسان إلى الوالدين، والأرحام، وتمتد إلى بقية أفراد المجتمع. قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (سورة النساء - الآية ٣٦).

وقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة لصلة الأرحام. ورغب في الاهتمام بهذه الصلة، وحذر من إغفالها وتجاهلها، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿ (سورة محمد - الآية ٢٢، ٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (سورة الرعد - الآية ٢١). إن صلة الأرحام تملأ النفس سعادة، وتشيع المودة والمحبة بين أفراد المجتمع. والجهد الأكبر لنوازع النفس البشرية يلزمها بصلة الأرحام فيتحقق من خلالها سكينة النفس، وسعادة الإنسان.

٩- الاستقامة

ومما يساعد على صيانة النفس الإنسانية لتحقيق نجاحها في تحقيق الرضا والطمأنينة والسعادة إلتزام صاحبها بسلوك (الاستقامة) التي حث عليها الإسلام.

والاستقامة في سلوك المسلم تعنى اتباع القيم الفاضلة في كل قول وكل فعل، كما أمرنا الله سبحانه، وتعلمنا من سنة رسوله الكريم، والابتعاد عن الطرق الملتوية.

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ آلَاءِ مَا شَرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَمَلْتُمْ إِنَّهُنَّ ذُرِّيَّتُكُمْ وَإِن يَأْتِهِنَّ وَالِدُهُنَّ بِالْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١)

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ

وَالْعِزَّانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِمَهْدِ اللَّهِ آوُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥١﴾ (سورة الأنعام - الآيات ١٥١ ، ١٥٢).

لقد فصلت هاتان الآيتان الكريمتان كل الأحكام التي أوصانا الخالق سبحانه بالعمل بها، أو بالانتهاء عنها حتى نحقق سلوك (الاستقامة) التي أجمل مفهومها في هذه الآية الكريمة التي جاءت بعد الآيتين السابقتين.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام - الآية ١٥٣).

وقد شرح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة فخط خطا بيده، ثم قال (هذا سبيل الله مستقيما). وخط عن يمينه وشماله (هذه السبيل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه) ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما) (رواه النسائى والترمذى).

إن شرح الرسول صلى الله عليه وسلم للآية الكريمة شرح بليغ، سهلا، مقنعا، واضحا يشير إلى أهمية الاستقامة فى سلوك المسلم، فهى اتباع دائم متواصل للقيم الفاضلة فى كل قول وكل فعل، فالاستقامة فى الإسلام هى اتباع لحسن الخلق من إحسان للوالدين، وإنهاء عن المحرمات.

إن المسلم الذى يعرف الطريق الحقيقى، طريق الاستقامة والذى يعمر قلبه بالإيمان، ليس فى حاجة إلى البحث عن طرق أو أفكار أخرى ترسم

له طريقة حياته، أو يتعلم منها كيف يربى أبناءه وبناته، وكيف تكون في الحياة علاقاته.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام - الآية ١٦١).

إن (الاستقامة) على سلوك الخير والجمال، هي هدية الخالق سبحانه لأصحاب العقيدة الصادقة، والإيمان الراسخ بالله سبحانه الواحد الأحد، حتى ينير الله لهم الطريق، وينزل على قلوبهم السكينة والبهجة ويبشّرههم بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سورة فصلت - الآية ٣٠).

ومما يؤكد أهمية الاستقامة أن المسلم يلهم في صلواته دائما وفي سورة الفاتحة بهذا الدعاء العظيم متوجها إلى الله سبحانه بسؤاله أن يوفقه إلى الاستقامة.

قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٢﴾ (الفاتحة - الآيتان ٦، ٧).

ويهدى الله تبارك وتعالى المؤمنين المعتمدين برحمته إلى الصراط المستقيم ويعدهم برحمته، وفضله.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (سورة النساء - الآية ١٧٥).

والقرآن الكريم يقدم للبشر في كل زمان وفي كل مكان المنهج العظيم الذي تستقيم به حياتهم، ويرضاه الخالق سبحانه لهم، ويكون في

عملهم بما جاء به سعادتهم، وراحة خواطرهم، وصيانة نفوسهم. والإيمان بالله سبحانه وتعالى يقترن في كثير من الآيات القرآنية الكريمة بالاستقامة؛ فمن يؤمن بالله ويلتزم بخلق الإسلام لا يخاف ولا يحزن أبداً ولا خشية عليه فهو مبشّر بالجنة في الآخرة، ويرضيه ويسعده في الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف - الآية ١٣).

١٠- الحمد لله

ومما يحقق صيانة النفس واستقرارها وتوازنها وسعادتها، إحساس الإنسان بنعم الخالق عليه وشكره على ما منحه له.

الإنسان قادر بنفسه أن يجعل السعادة شعوراً دائماً لديه، يجابه به الحياة بكل ما بها من صعاب، وذلك بإحساسه بالرضا وشكره الله. إن الحكمة العظيمة التي تتجلى في (الحمد لله) تبدو في (فاتحة الكتاب) حيث يعلمنا الله سبحانه وتعالى أن نحمده بكلمتي (الحمد لله). فيعد البداية (بسم الله الرحمن الرحيم) تأتي مباشرة الآية الكريمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الفاتحة - الآية ٢).

فنحن نحمد الله سبحانه فقد سخر لنا الكون الرائع حولنا، ونحمده سبحانه وتعالى طلباً لرحمته، واعترافاً بنعمه علينا، وعطاياها لنا والتي لا تعد ولا تحصى.

وهو سبحانه وتعالى رحيم بعباده وشكرنا له سبحانه في كلمتين اثنتين (الحمد لله).

إن هاتين الكلمتين لهما دلالة بليغة رائعة، حيث تؤكدان إيمان قائلهما بالله، وطاعته له، وإذا قالهما في صدق ونية خالصة، كانتا دافعا لحسن العبادة والطاعة التي ترضى الله سبحانه فيمنحه السعادة والسكينة ويصلح نفسه، وحياته.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة الأحقاف).

لقد كان دعاء العبد الصالح أن يمنحه الله القدرة على شكره، فيرضى الخالق سبحانه عنه ويصلح له ذريته ويتوب عليه.

إن شكر الله سبحانه على نعمه التي لا تحصى صفة من صفات المؤمنين الذين استجابوا للفرصة السليمة فشعروا بالسعادة، وشكروا الله سبحانه وقد وعد جلّت قدرته الشاكرين أن يزيدهم عطاء من نعمه، وتوعد الكافرين الجاحدين بالعذاب الشديد. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم - الآية ٧)، إن حمد الله وشكره يفيد الإنسان فتصلح نفسه ويطمئن قلبه.

وكما تؤكد بداية سورة الفاتحة أهمية (الحمد لله) فإن خاتمة كل حياة مؤمنة في الأرض تكون أيضا بالحمد لله، قال تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

١١-الصبر

الصبر يصون النفس، ويزكى الروح ويضفي على صاحبه سمًا جليلاً، ويمنحه رضا جميلاً.

إنه خلق جامع لأخلاقيات كثيرة تنبع منه، وتعود أصولها إليه فالقناعة بالقدر القليل من الحظ (صبر). والزهد أحياناً عن متاع الحياة (صبر) وعدم البطر، وعدم السخط (صبر). والرضا بما أنعم الله به علينا من نعم، وتجنب الشكوى والتذمر لعدم الفوز السريع بما كان أملاً لدينا (صبر).

ولا شك أن الإنسان بمقدوره أن يعود نفسه على السلوكيات التي تسعده، وتنبأى به عن الضجر والتذمر والأسى والكدر.

إن المسلم يسعى دائماً إلى التقرب إلى الله بحسن العبادة، وهذا يعمق في نفسه مشاعر (الصبر) فيتعود عليها، فتتأدب نفسه بآداب العقيدة القوية ومع تغير أحواله في مراحل حياته بين عسر ويسر، وفقر وغنى، وحزن وسرور، وصحة ومرض، وقوة وضعف، وصحبة ووحدة، وعمل وفراغ. يظل دائماً في حاجة إلى تعويد نفسه على خلق (الصبر) ليشعر بالأمان، والاطمئنان، حتى يواجه كل المواقف بصلابة وصمود، ودعة، وهدوء. وهذا مما يصون نفسه ويجعله في منأى عن الإحباط والتعاسة أو الكدر والندامة.

إن من يصبر في كل الأحوال، ولا يترك لنفسه عنان الثورة ولا يتسرع في اتخاذ القرارات، لا يندم قط. ومن يصبر ويصمد أمام كل المواقف أو الآلام أو مفاجآت القدر هو الفائز الحكيم، المؤمن، الذي لا يستسلم للجزع

أو الخوف أو الطمع ، أو التسرع والتعجل أو الغضب والطيش ، وهو الذى يستطيع الصبر على الشهوات وأهواء النفس ، ويتعقل ويتصرف بترو فينأى بنفسه عن الخطأ فى القول أو الفعل ، وليس الصبر استسلاما أو رضا سلبيا بالواقع ، لكنه قوة نفسية تمنح صاحبها القدرة على الشدائد والصمود إزاءها ، والمهجوم على المكاره والثبات أمامها ، والتنبه إلى أهواء وشهوات النفس والترفع عنها .

إن (الصبر) صفة من صفات الله سبحانه هو (الصبور) لا يعاجل عباده المذنبين بالعقاب . قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : فى الحديث القدسى عن ربه : (إنى أنا الصبور) .

والآيات القرآنية الكريمة التى تؤكد أهمية الصبر كثيرة حيث ورد ذكره نحو سبعين مرة ، وأعلى القرآن الكريم من قدره كشعبة عظيمة من شعب الإيمان فجعل الله سبحانه (الجنة) جزاء للصابرين .

قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ مَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ﴾ (سورة الإنسان - الآية ١٢) . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (سورة الرعد - الآية ٢٢) .

ووصف الله سبحانه الصابرين بالصدق ، والتقوى ، والإيمان ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿ (سورة البقرة - الآية ١٧٧).

وقد اقترن ذكر (الصبر) في القرآن الكريم بالقيم النبيلة السامية وبالعبادات والفرائض العظيمة.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة - الآية ١٥٣).

واقترن بالتوكل ووعده الله الصابرين بالأجر الحسن، قال تعالى: ﴿ نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت - الآية ٥٨).

واقترن بالشكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سورة إبراهيم - الآية ٥). ويعمل الصالحات في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (سورة هود - الآية ١١).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى خلق (الصبر) موضع الابتلاء في أحوال الحياة الدنيا مما يؤكد أهميته وضرورته قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران - الآية ١٤٢).

إن (الصبر) يعطى للإنسان القدرة والصلابة عند مواجهة (بلاء الدنيا) والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم منها صبر (أيوب) على مرضه وفقد أهله. وصبر (يعقوب) على فراق ولديه يوسف وأخيه، وكيد أبنائه، وكذبهم عليه، وحننا القرآن الكريم على (الصبر) على طاعة الله وعبادته.

قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (سورة مريم - الآية ٦٥) وهذا الصبر على العبادات يصل بالإنسان إلى (الصبر) على ما تشتبهى نفسه من متاع الدنيا وشهواتها من المحرمات. كما يبعده عن التطلع إلى ما لدى الآخرين من نعم المال أو الأبناء ويساعده على السعادة بما منحه الله من نعم.

الصبر يقوى النفس ويؤهل الإنسان إلى مرتبة الأمانة والقيادة.

إن الإسلام الدين العظيم، خاتم الأديان، يقدم لنا المنهج والدستور لكل خلق عظيم يصون نفس الإنسان ويقويها، ويمنحها كل الرضا، والاطمئنان والسعادة فهو يتفق مع الفطرة النقية التي خلق الله سبحانه الإنسان عليها.

١٢- التواضع

والتواضع سلوك يرفع من شأن الإنسان، ويصون نفسه، ويعلى من قدره، ويكسبه السعادة في الدنيا، والجنة ورضا الخالق في الآخرة. لذا كان خلق (التواضع) خضوع للحق، وقبول له، وخفض للجناح، وشعور صادق بأن الإنسان لا يتميز فوق غيره من عباد الله والتواضع الحقيقي هو التواضع لله، وترك التناول على عباده.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تواضع لله رفعه) أخرجه مسلم والنووي والدارمي وأحمد.

وتواضع الإنسان للخالق سبحانه يبلدو جليا حين يشعر بذنبه ويحاسب نفسه فيراها أقل مما يريد لها في الطاعات بل وأقل من غيرها، فيخشع لله سبحانه، ويتقرب إليه. قال تعالى: ﴿وَكَاثُرًا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (سورة الأنبياء - الآية ٩٠).

والمسلم المتواضع لا يزهو بلباسه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس
الخلائق حين يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها) (رواه مسلم وغيره).
أما أهل العلم فينبغى عليهم التواضع ، وترك الفخر بما يحسنون
إلا أن يضطر العالم إلى ذكر أو إشارة إلى نعمة ربه على وجه الشكر له
على ما حباه من علم ، وكذلك لا بد من (التواضع) من طلبية العلم . وكلما
تواضع الإنسان ازداد رفعة عند الناس وعند الله .

وحين يكون التواضع سلوكا للمسلم يقترب منه الناس ويحبونه ،
فيعيش فى ألفة وود ومحبة مع غيره ولا يلمس من أحد حقدا ، أو ظلما ،
أو ضعينة مما يصون نفسه ، ويقوى عزيمته ويفرحه بسعادته .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله أوصى أن تواضعوا
حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد) (أخرجه مسلم).
ومن الأمور التى تؤكد تواضع الإنسان اتباعه الحق وانقياده له ،
وطاعته ، وإعطاؤه الحقوق لأصحابها وعدم تكبره عليهم أو غمطه
حقوقهم مهما كان حالهم .

والتواضع يحترم الجميع صغيرا أو كبيرا ، فهو يتواضع للصغير ويرى
أنه إذا كان أكثر منه سنا فربما قد يكون مثل أخيه الأصغر ، ويحترم
الكبير ، لأن هذا أمر طبيعى وبديهى .

ومن التواضع القصد فى المشى . قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (سورة الفرقان - الآية ٦٣) ، فهم يمشون على
الأرض مشية سهلة هينة لا كبر فيها ، ولا خيلاء .

والتواضع يخفض الجناح، ويكون لين الجانب على المؤمنين عزيزا على الكافرين، مجاهدا في سبيل الله، لا يخاف في الحق لومة لائم، ويعامل الناس في محبة وسماحة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة المائدة - الآية ٥٤).

والقرآن الكريم يحفل بالآيات القرآنية التي تعلو من قدر (التواضع) والمتواضعين. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص - الآية ٨٣).

ولا يعنى التواضع قط عدم الاكتراث بالمظهر الحسن وجمال المنظر، ونظافة الملابس، وأناقته البسيطة المحببة كما لا يعنى التواضع (المذلة) للغير لأى سبب.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر). فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق (أى رفعه) وغمط الناس (أى احتقارهم).

ولا شك أن الإنسان إذا حسن إيمانه وصلحت أفعاله، اهتدى إلى خلق (التواضع) فكان متحليا به، سعيا بما يشيعه فى نفسه من مشاعر الود، والمحبة، والراحة، والأمان والسعادة.

١٣- الرحمة

ومما يحمي النفس البشرية ويصونها ويحقق لها السعادة والرضا، أن تتعمق مشاعر المحبة والرحمة هذه النفس، وأن يقتدى الإنسان بالرسول صلى الله عليه وسلم فى تعامله مع كل من حوله برحمة ومحبة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء - الآية ١٠٧).

لقد جاء محمد عليه السلام بدين الإسلام الذى يحمل للبشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم من القيم والتشريعات ما يضمن سعادتهم والرحمة بهم.

وكان عليه السلام رحيمًا بالجميع مسلمين وغير مسلمين كبارًا أو صغارًا ووصفه القرآن الكريم بالرحمة قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة - الآية ١٢٨).

إن لنا فى رسولنا الكريم المثال والقدوة وقد خاطبه الله سبحانه بقوله: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران - الآية ١٥٩).

لقد كان رسولنا الكريم، وأصحابه العظام نماذج رائعة للرحماء الذين تربوا على مائدة الإسلام الرحيمة.

وجزاء (الرحمة) عظيم يشعر به الناس فى حياتهم سعادة، ورضا فى نفوسهم، وفى الآخرة رضا ومثوبة من ربهم، قال تعالى: ﴿ تَدْرَأُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۗ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ (سورة البلد - الآية ١٧، ١٨).

ومن أدلة عظمة وجمال الرحمة كسلوك، أن جعله الله تعالى قاعدة لعلاقة الزوجية العظيمة التي تربط بين الزوجين وتكون دعامة للأسرة. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم الآية ٢١).

إنه من المددش حقا أن نعرف من آيات القرآن الكريم أن الحجارة التي نخالها جمادا لا يشعر يمكن أن تتصف (بالرحمة) ونرى بلاغة القرآن في هذا التصوير. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فِيخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة - الآية ٧٤).

إن صيانة النفس البشرية، يضمنها كتاب الخالق العظيم وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

حيث نجد الدستور الذي بين لنا كل شيء وحمل لنا الهدى، والرحمة، والبشرى.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل - الآية ٨٩).

ولمشاعر الرحمة بين البشر آثارها العظيمة في إشاعة الحب والسعادة وتجميع القلوب، وسعادة البشرية جمعاء.

حين تسود مشاعر الرحمة في المجتمع تختفي الجرائم وتحتاج البشرية إلى الرحمة في معاملة كل فرد لغيره. وفي تعاملات

المجتمعات والدول، حتى لا تنتهك حقوق الإنسان فى أى مكان، وحتى تتوفر صيانة نفوس البشر، وأرواحهم، وحياتهم، ومصالحهم.

١٤- التقوى

التقوى: من القيم والسلوكيات التى أشار إليها القرآن الكريم؛ وأكد تحقق الخير، والأمان، والسعادة والحماية لنفس الإنسان حين يحققها فى سلوكياته فإن التقوى هى خير زاد يتزود به الإنسان فتغنى روحه ويسعد قلبه، وهى خير جهاد للنفس، قال تعالى: ﴿وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (سورة البقرة - الآية ١٩٧)، وقال سبحانه ﴿وَلِيَأْسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (سورة الأعراف - الآية ٢٦).

إن تقوى الله تضمن تفضيل الله سبحانه لعباده المتقين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ إِذْ أَنْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ (سورة الحجرات - الآية ١٣). والتقوى هى حرص الإنسان على رضا الله سبحانه والخشية من عقابه، وتطبيق شرائع الدين بأداء الصلاة فى أوقاتها، وقراءة القرآن الكريم والعمل بأوامره، والانتهاز عن نواهيه. وهذا كله يضمن صيانة نفس المسلم، وسعادة روحه، وصحة جسده.

قال تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة الأعراف - الآية ٣٥). وتؤكد آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه يفتح بركاته على المتقين من كل صوب (من السماء والأرض). قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف - الآية ٩٦).

وقد وعد الخالق سبحانه بإرسال الأنبياء لهداية الإنسان؛ وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، فأتى بالإسلام ومن تبع هدى الخالق لا يضل، ولا يخاف ولا يحزن وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّتِيكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة - الآية ۳۸).

ولم تقتصر «صيانة الإسلام للنفس الإنسانية» على حياته في الدنيا، وإنما امتدت إلى الآخرة وما يلقى فيها، فمن اهتدى بهدى الإسلام وعمل في حياته بتعاليمه تبوأ درجة عالية عند ربه ونعمت روحه في جنة الخلد.

قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء - الآية ۲۱)، ووعد سبحانه المسلم الذي يتهجّد بالقرآن في الليل بالمقام المحمود في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (سورة الإسراء - الآية ۷۹)، وجعل لكل إنسان درجة في الجنة، تتنعم روحه حسب أعماله في الدنيا، فلكل نفس رتبة ومقام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ۖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْدِرٍ﴾ (سورة القمر - الآيتان ٥٤، ٥٥).

والبركات التي يعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين المتقين بها ليست بركات مادية فحسب، إنما هي بركات تحييط بروحه وتسد نفسه، وتحيطه بالطمأنينة والسكينة.

أَخَوَاتِهِمْ أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ
 مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
 بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ (سورة النور - الآية ٣١).

إن المظهر الوقور المحتشم يحقق للمرأة صيانة النفس والروح والاحترام
 ممن حولها؛ وإبعادها عن مواطن الفتنة، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا
 يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
 سَوْءَ مَا كَانُوا سَوِيًّا﴾ (سورة الأعراف - الآية ٢٧).

وقد اهتم الإسلام -لمزيد العناية- بصيانة المرأة والسمو بنفسها، أن
 يأمرها بستر جميع بدنها إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى
 منها إلا هذا وهذا (الوجه والكفين).

وَأَلَّا يَكُونَ الزِّي زِينَةً فِي نَفْسِهِ يَلْفِتَ النَّظَرَ وَلَا يَكُونَ شَفَافًا. قَالَ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات).

ومن صيانة الإسلام لنفس المرأة وروحها، وحياتها وإعلاء شأنها،
 وتقدير مكانتها، وأهمية دورها، أنه لم يفرق بينها وبين الرجل في طلب
 العلم، والمشاركة في العمل، في إطار يسوده التوقير والاحترام.

كانت النساء تجتمعن في مسجد الرسول عليه السلام يسمعن،
 ويسألن، ويصلين معه، ويتعلمن منه. وشاركت المرأة في المعارك في
 عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وفر الإسلام الحماية والرعاية
 للمرأة حيث جعل لها كيانا اقتصاديا مستقلا فهي تستطيع أن تمتلك
 وتتصرف بنفسها، وبلا وسيط؛ ونص (القرآن الكريم) في كثير من

الآيات الكريمة على حقوقها في الميراث، ومن أمثلة ذلك الآيات الثلاث من سورة النساء التي تتضمن أصول الميراث.

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۖ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۖ وَلَا يُؤْتِيهِ لِلْكَوْنِ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ الشُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٌ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿ (سورة النساء - الآية ١١).

وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٌ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دِينٌ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۖ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٌ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿ (سورة النساء - الآية ١٢).

وقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِن أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ بَرِئُهُمَا إِن لَّمْ يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (سورة النساء - الآية ١٧٦).

معاملة الزوجين كليهما للآخر:

من صيانة الإسلام للنفس الإنسانية؛ تأكيده على أهمية أن يحافظ الزوجان على مشاعر المودة والرحمة بينهما، حتى تستمر الحياة في هناءة وسعادة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ آوَيْنَاهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الروم - الآية ٢١).

وما أجمل تصوير القرآن الكريم للعلاقة بين الزوجين وقد شاركوا في بناء أسرة متكاملة تسودها السعادة، يرزقهما الخالق من ألوان الطيبات والنعيم.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَبِعِصْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (سورة النحل - الآية ٧٢).

وقال عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَطَبِيعٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْتُمْ اللَّهُ الَّذِي سَاءَ لَوْ تَبْهَهُ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء - الآية ١).

إن الإسلام يحترم الأسرة ويضمن بتشريعاته أن يكون في قيامها سكن النفس، وراحة البال وأن تكتنفها مشاعر المودة والرحمة والمحبة. وأن يكون لكل فرد دوره المهم في حياتها.

ومن أهم القيم التي تحكم سلوك الإنسان وعلاقته بالآخرين، تلك العلاقة العظيمة بين الأبناء وآبائهم وأمهاتهم. وقد خص الإسلام هذه

العلاقة المهمة بالكثير من آيات القرآن الكريم التي توضح أساليب تعامل الأبناء مع آبائهم وأمهاتهم وذلك للآثار العميقة التي تترتب على هذه العلاقة في نفسية كل من الأبناء؛ والأمهات، والآباء.

ومما يؤكد اهتمام القرآن الكريم بهذه العلاقة إيراده الكثير من الآيات الكريمة التي تأمر بطاعة الوالدين مباشرة بعد الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى، طاعة حب وولاء وإقرار بالفضل.

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَنِ الْفُحْشِ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ ١٥١ ﴾ (سورة الأنعام - الآية ١٥١).

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَ الْفِطْرِ إِنَّهُ لَشَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٤ ﴾ (سورة لقمان - الآية ١٤).

وأمر الخالق سبحانه وتعالى برعاية الوالدين والإنفاق عليهما، إذا كانا في حاجة إلى ذلك. قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُنْفِقُونَ قُلْ مَا أُنْفِقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٢١٥ ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢١٥).

إن الإسلام يهتم بتماسك الأسرة ... ويهتم بتعميق مشاعر المحبة والولاء، والاحترام والرعاية بين الأبناء والآباء، وهذا مما يصون النفس الإنسانية ويحقق لها الهدوء والرضا بالحال.

إن مجتمعاتنا العربية تتعرض في هذا الزمان لكثير من الأفكار، والثقافات المختلفة التي تأتي من الغرب وتؤثر في الشباب وعلاقاتهم بأسرهم وتأثيرات سلبية؛ ولا طريق للتغلب عليها، والنجاة من تأثيراتها

التي تقوض العلاقات الحميمة، إلا بالتمسك بقيم الإسلام وتعاليمه؛ وتطبيق ما أمرتنا به آيات القرآن الكريم، وسنة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم من سلوكيات تحقق لنا سلامة الروح، وطمأنينة النفس، وجمال العلاقات في الأسرة والمجتمع.

١٦- أهمية الكلمة كوسيلة لصيانة النفس الإنسانية

لم يهتم الإسلام بأفعال المسلم فحسب لكنه اهتم بأقواله، وبكل ما ينطق من كلمات، وذلك لما للكلمة من أثر عميق في حياة الإنسان، وما لوقوعها في وجدانه ومشاعره.

والإنسان مسئول أمام الخالق سبحانه عن كلماته التي ينطق بها، فالمسلم يتحلى في حديثه بالأقوال الطيبة، لا يشتم، ولا يلعن، ولا يكذب ولا ينافق، وتكون كلماته طيبة تأتي بثمار طيبة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْ ذُنُوبُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٣﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (سورة إبراهيم - الآيات من ٢٤ : ٢٧).

إن الكلمة الطيبة لها آثارها الطيبة في النفوس فهي كالدوحة مارقة الظلال عميقة الجذور، قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (سورة فاطر - الآية ١٠).

وحين يلتزم الإنسان بالصدق، والقول السديد تصلح أعماله، وتصفو نفسه، ويفوز برضا روحه، ورضا ربه.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ (سورة الأحزاب - الآيتان ٧٠، ٧١).

إن نفس الإنسان، تصفو وتهدأ حين يرتاح ضميره بالتزامه بالصدق، وبالكلمة الطيبة؛ كما يرضى عنه ربه ويوفقه في حياته وفي آخرته. قال صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل بها له رضوانه إلى يوم يلقاه).

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه). والكلمة الطيبة تحقق لقائلها رضا واطمئنانا وراحة وقت نطقه لها.

١٧- اختيار الأصدقاء

ولم يدع التشريع الإسلامى سلوكا تصلح به حياة الإنسان، ويسهم فى صيانة نفسه وروحه، وصفاء حياته، وتيسير التزامه بنهج الله، إلا وضحه فى القرآن الكريم وحسن اختيار الأصدقاء من الأمور المهمة التى تؤثر فى توجه الإنسان والتزامه بالخير.

وربما وجه الأصدقاء إلى الشر والبعد عن الإسلام إذا أساء الإنسان اختيارهم. لذا نهانا الخالق سبحانه عن سوء اختيار الأصدقاء، قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن

دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْرَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدَ بَيْنَنَا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
(سورة آل عمران - الآية ١١٨).

إن صحبة من يطيع الخالق تشجع على عمل الصالحات، والبعد
عن المنكرات، لذا أمرنا الخالق سبحانه بصحبة الصالحين والابتعاد عن
الغافلين عن ذكر الله؛ والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف - الآية ٢٨).

إن الصداقة التي تسعد روح الإنسان، وتسمو بنفسه، وتشعره
بالطمأنينة والرضا، هي تلك الصداقة الجميلة التي تجمع بين إخوان
متحابين في الله يتفقون على كل خير، ويعملون بتشريعات الخالق
العظيم فيكونون مثل من قال عنهم الله سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ
مِّنْ غَلِيٍّ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ
لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُنَا بِالْحَقِّ﴾ (سورة الأعراف - الآية ٤٣).

والصداقة التي يدعو إليها الإسلام تجعل المسلم سعيدا بعيدا عن
الضيق، والحزن. فهو يثق أن لديه من الأصدقاء من يهتمون بأمره
ويخلصون له مثل من قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا
الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (سورة فاطر الآية ٣٤).

إن اختيار الصداقة الجميلة تملأ القلوب بالثقة، والنفوس بالود
والسعادة وتساهم في إبعاد الحزن عن الإنسان.

١٨- الأخوة

والإسلام يهتم بصيانة النفس الإنسانية، وسعادتها، وحياتها في مجتمع تشيع فيه روح (الأخوة)، والمحبة الصادقة التي تعمر وجدان الإنسان، وتثري الحياة وتحفز الجماعة إلى كل عمل بناء.

إن الأخوة النبيلة، والمحبة العظيمة التي تحث عليها تعاليم الإسلام، تضمن سعادة النفس. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ءَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ (سورة آل عمران - الآيتان ١٠٢، ١٠٣).

فالأخوة التي يدعو إليها الإسلام تحقق للبشر باجتماعهم على حب الخالق سبحانه والعمل بتعاليمه كل مشاعر الصفاء والإخاء، وتبعد عن نفوسهم كل الضغائن والبغضاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَذْكَلُّوا بِسَلْمٍ ءَأَمِينٍ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُنْفَلِحِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (سورة الحجر - الآيات: من ٤٨: ٤٥).

وتتحقق مشاعر الرحمة والأخوة، والمحبة بين أفراد الأسرة، وأفراد المجتمع، إذا ما التزموا بشرائع الإسلام؛ فهو دين ودنيا، عقيدة وسلوك، لم يترك علاقة بين البشر إلا وضحها بما يضمن صيانة النفس الإنسانية وسموها، وبعدها عن الشر.

١٩- الوسطية والاعتدال

ومن السلوكيات التي أراد الإسلام أن ينتهجها المسلم فتسهم في صيانة روحه وسعادة نفسه (الاعتدال) في كل شيء، لا إسراف، ولا بخل.

يقول عز وجل عن البخيل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ يُخَلِّ وَأَسْتَعْنَىٰ ۗ ۝٨ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ۗ ۝٩ فَنَسِيْرُهُ، لِلْعَمْرَىٰ ۗ ۝١٠ وَمَا يَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۗ ﴾ (سورة الليل - الآيات ٨ : ١١).

ولا شك أن سلوك الاعتدال في (الإنفاق) يحقق التوازن في حياة الإنسان، وصيانة روحه وإبعاده عن كل ما يؤلم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۗ ۝١٩ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۗ ﴾ (سورة الإسراء - الآيتان ٢٩ ، ٣٠) وينهاه عن الإسراف في الطعام، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۗ ﴾ (سورة الأعراف - الآية ٣١).

وقد أكدت أحدث الاكتشافات الطبية، علاجاً جديداً لكثير من الأمراض عن طريق الغذاء كما، ونوعاً.

وسبق القرآن الكريم كل الاكتشافات في توجيه الإنسان إلى كل ما يضمن له السعادة، والرضا والصحة البدنية والنفسية.

٢٠- عدم إيذاء الغير

ومما يؤكد اهتمام الإسلام بصيانة النفس الإنسانية، والمحافظة على حياة الإنسان في عالم تسوده المحبة، وتخيم عليه الطمأنينة والسكينة، وتتميز العلاقات بين أفراد مجتمعه بالمحبة والتكافل.

وقد حرم الإسلام ايذاء الغير:

قال تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذًى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢٦٣).

وقد أمر الله سبحانه بالابتعاد عن الأذى حتى إذا قدم الإنسان الإحسان مقترنا بإيذاء شعور من أحسن إليه، أبطل الأذى الإحسان.

إن الإسلام بما يدعو إليه من (عدم إيذاء الغير) يؤكد تناسب قيمه مع الفطرة البشرية السليمة التي تأنف من التعرض للغير بأذى يؤلم النفس، أو البدن، أو المال.

ومن حكم الإسلام التي تؤكد اهتمامه بصيانة النفس والبدن والروح، حكمته الواضحة في تحريم كل ما هو خبيث ضار لروح الإنسان، وجسده وحياته وتحليله لكل ما هو طيب.

فالتحريم ليس لمجرد التحريم، والتحليل ليس لمجرد التحليل. إن التحليل جاء لكل ما يمنح الإنسان صحة في نفسه وصحته، وروحه، وحياته، وعلاقاته بغيره.

والتحريم جاء لكل ما يحمل الضرر للإنسان في نفسه وروحه وصحته وحياته، وعلاقاته بمجتمعه.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة الأعراف - الآية ١٥٧).

والإسلام حين يحرم إمعان النظر إلى ما لدى الغير دون حياء أو فى حسد، أو فى شهوة فهو يبتعد بالإنسان عن مواطن الشهوة، والحسد أو الحقد، والغيرة التى تتعب النفس وتؤلم الروح، وهو بهذا يبيث روح (الترفع) والرضا التى تؤدى إلى صيانة الروح الإنسانية وإزكاؤها.

فيقول سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (سورة النور - الآية ٣٠).
والإسلام حين يحرم (القتل) فهو يحفظ النفس البشرية ويصونها.

ويجرم قاتلها ويتوعده بالنار مصيرا، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (سورة المائدة - الآية ٣٢).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِيحْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (سورة النساء - الآيتان ٢٩ ، ٣٠).

وحرم الخالق سبحانه (القمار) لأنه عدوان على حقوق الإنسان. يحدث لدى الطرفين ألما وحرزا كنتيجة طبيعية لأخذ أحدهما ما يملك الآخر، كما يضيع وقته، ويخرب حياته، وعلاقته بأسرته وأحبائه. وتحريم (الزنى) أيضا يضمن صيانة النفوس، والأرواح والأعراض، وإزاحة الفوضى عن المجتمع، حتى لا تختلط الأنساب، وتكثر الجرائم والنزاعات.

وفى تحريم الإسلام أكل أموال اليتامى ظلماً، حفظ للنفوس،
 وللعلاقات الطيبة الحميمة بين البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
 أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾
 (سورة النساء - الآية ١٠).

كما أن تحريم أكل أموال الناس بالباطل، يؤكد عظمة الإسلام
 وحكمته فى الحفاظ على العلاقات الطيبة بين الناس فى تعاملاتهم.
 قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ
 لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة - الآية ١٨٨).
 وحرَم الإسلام (الربا) ولا شك أن هذا التحريم هام وضرورى لإشاعة
 المودة والمحبة بين المحتاج والقادر الذى يمنح قرضاً، ويسترده، أكثر
 مما أعطاه ولا شك أن هذا التحريم يزيح عن النفوس مشاعر الحقد،
 والألم، والحزن. ويعمل على إشاعة روح الود، والتراحم، والتكافل بين
 البشر.

وصور (القرآن الكريم) بشاعة (الربا) فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ
 يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ
 مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة البقرة - الآية ٢٧٥).

وعن تحريم الإسلام لأنواع من المأكولات، والمشروبات أكدت الأبحاث
 الطبية والعلمية على مدى الزمن أن كل هذه الأنواع لها تأثير سىء كبير
 على صحة الإنسان وعلى حياته كلها؛ وهكذا يتأكد لنا دائماً أن الإسلام

يهتم بصيانة نفس الإنسان وروحه وصحته وحياته كلها وجهاد نفسه حتى تلتزم بكل ما يحقق صيانتها ويضمن سعادتها. وهذه الآيات القرآنية الكريمة التي تعبر عن حكمة الخالق سبحانه في خلقه لعباده وعلمه بطبيعتهم التي خلقها عليهم، وبما يناسبها ويصونها، ويزكيها.

يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْوَاجُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة - الآية ٩٠).

ومن المأكولات التي حرم الله سبحانه وتعالى أكلها وأثبتت الاكتشافات العلمية في عصرنا هذا أثرها الضار جدا على صحة الإنسان قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَأْكُلِ لِبَهِيمٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة النحل - الآية ١١٥). ولا يهتم الإسلام بصيانة نفس المسلم وصحته فحسب بتحريم أو تحليل أنواع من الأطعمة والأشربة وإنما يعنى أيضا بسلوك الإنسان وطريقة مأكله ومشربه بما يؤكد الدقة في الاهتمام بصحته ونفسه.

٢١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن السلوكيات الجميلة، التي يأمر القرآن الكريم بالعمل بها، لينعم بالرحمة من الخالق سبحانه (الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) إذ يرقى هذا السلوك بصاحبه حتى يستطيع التأثير في غيره، وفي توجيههم إلى الخير.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ صُلُوبَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ أَمْوَالًا كَثِيرًا زَكَاةً لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَثْرَتُهَا وَلَا يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ أَمْوَالًا كَثِيرًا زَكَاةً لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَثْرَتُهَا وَلَا يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ أَمْوَالًا كَثِيرًا زَكَاةً لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَثْرَتُهَا وَلَا يَحْزَنُونَ

وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ سَرِّحْنَاهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
[سورة التوبة الآية ٧١].

ومما يؤكد أهمية ومكانة هذا الخلق، أن الله تعالى ذكره مقرّونا بالإيمان به سبحانه، كما جعله سمة منحها للمسلمين لتجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ١١٠].

وقد وصف سبحانه القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنهم المفلحون. قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٠٤].
وقد احتل سلوك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه المنزلة العظيمة من السلوكيات التي حثنا عليها القرآن الكريم ليكون الإنسان قدوة طيبة لغيره، وينصح أخاه المقصر نصيحة مخلصة سمحة حتى يصل الجميع إلى المنزلة السامية الوضيئة التي يريدها الإسلام للمسلمين.

وبهذا ينتشر الخير بين أفراد المجتمع، ويتحقق الترابط وتسدود المحبة، حيث يجد المقصر، أو المخطئ من ينصحه بموده ومحبة، وإذا كان الخطأ أو التقصير نتيجة جهل بأمور الدين، أو أمور الدنيا وجد من ينصره، وإذا كان عن عمد، وجد من يحذره من عقاب ربه، ويذكره، فيتحقق الأمان، والطمأنينة في علاقات الأفراد، في الأسرة، وفي المجتمع.

الآثام المدمرة، والرذائل المضللة حتى يعيش البشر حياة مليئة بالسعادة، والطمأنينة والرضا وصلاح النفوس والأرواح.

إن صيانة النفس الإنسانية ومجاهدتها وإزالتها بالحق هدف عظيم يحقق للإنسان التوازن بين حاجاته الدنيوية وأخلاقه، وقيمه التي يقتدى فيها بقيم الإسلام وعقائده، وعباداته، التي تسمو بروحه ونفسه.

٢٢- الدعاء وأهميته في جهاد النفس وتقويمها

ومن السلوكيات التي أكد عليها الإسلام، لتحقيق صيانة نفس الإنسان، وروحه وإضفاء الهدوء، والاطمئنان على حياته تأكيد أهمية التجائه إلى ربه، والدعاء لخالقه في كل وقت، وعند كل موقف يؤرقه. وقد وعد الخالق سبحانه باستجابة الدعاء.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية ١٨٦].

وتؤكد الآية الكريمة قرب الله سبحانه وتعالى من عباده المؤمنين، وسرعة إجابته دعوة السائلين.

وقال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ أَرْضًا ﴾ [سورة النمل الآية ٦٢].

إن الإنسان حين يدعو ربه ينعم بشعور رائع نابع من التجائه إليه واطمئنانه بقربه منه وتوكله عليه.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يدعو الله أن يزيل عنه الكرب والغم قائلاً: (لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش

العظيم)، ويقول أيضا (حسبى الله، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم).

وفي الآيات القرآنية أمثلة تشير إلى استجابة الله سبحانه لدعاء عباده منها هذه الآية الكريمة: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعْضَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَذَابِ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [سورة الأنبياء الآيتان ٨٧، ٨٨].

ومما يؤكد أهمية الدعاء، وآثاره العميقة في نفس الإنسان، هذه الآية الكريمة التي يؤكد فيها الخالق سبحانه استجابته لدعوة مخلوقاته. وذلك مما يمنح الإنسان حين يدعو ربه شعورا بالراحة والاطمئنان وأنه في حماية ربه، ورحمته، مستمتعا بقدرته سبحانه علي استجابة دعوته، وتحقيق رغبته قال تعالى: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ أَلَّيْتُمْ سَتَكْفُرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [سورة غافر الآية ٦٠].

لقد أشارت الكثير من الآيات القرآنية إلى قرب الله تعالى من الإنسان ذلك القرب الذي يطمئنه ويشرح صدره ويمنحه الأمان وهدوء النفس. ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن ربه هذه المعانى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه، وإذا تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إلى ذراعا، تقربت إليه باعا، وإذا أتاني يمشى أتيته هرولة).

٢٣- الإيمان بالله

إن الإيمان بالله الخالق سبحانه، يملأ النفس البشرية بالسعادة، ويزكى الروح ويطهرها، ويجعل الإنسان متمتعاً بالحياة الطيبة السعيدة. لذلك كان على الإنسان مجاهدة نفسه وإزكاء روحه للوصول بها إلى الدرجة الرفيعة فيكون أملاً لرضا الخالق سبحانه وتعالى وحسن جزائه لعمله الصالح.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل الآية ٩٧].

فالإيمان بالخالق سبحانه وبأنه لا إله إلا الله يحقق استقرار النفس، وثبات القلب، وطهارة الضمير، والصبر أمام أحداث الحياة، وسكينة الروح عند وقع القضاء؛ والرضا في كل الأحوال لأن الإنسان المؤمن الذي رضا بالله ربا وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، قد استقرت نفسه ولم تتنازعاها الأهواء والصراعات، فتحقق لها الهدوء والأمان.

أما من يفتقدون الإيمان ويبتعدون عن منهج الله فهم كما صورتهم الآية الكريمة:

﴿وَنَقَلِبٌ أَفِئدَتُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية ١١٠].

٢٤- إبعاد النفس عن الحزن

الإسلام يشرح صدر الإنسان ويبعد عنه القلق، والحزن، ومن مجاهدة الإنسان لنفسه إبعادها عن مشاعر القلق والحزن، ويكفيه الشعور بنعم الله عليه لينشرح صدره.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ نَزَّحُوا لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح الآية ١].
إن الله سبحانه وتعالى يقدم في هذه الآية الكريمة حكما عاما لكل
من يحب الحق، ويسلك طريق الهدى إليه.

فهو سبحانه يشرح صدر الإنسان الذي يذكره: ﴿فَعَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يَهْدِيَهُ يُخْرِجْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [سورة الأنعام الآية ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
لِلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾ [سورة الزمر ٢٢].

والمؤمن يشعر بالسعادة والرضا والأمان في تفويضه الأمر إلى الله،
وتوكله عليه، وثقته بوعده، ورضاه بقضائه، وأمله في رحمته، قال
تعالى: ﴿فَأَنْقَلِبُوا إِلَى اللَّهِ وَبِعَمَلِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة الآية ٢٣].
وينهى الإسلام عن الحزن.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [سورة آل عمران الآية ١٣٩]

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة النمل الآية ٧٠]

وقال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنَ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة ٤٠]

ونفى الحزن عن المؤمنين فقال سبحانه:

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة (٣٨، ٦٢، ١١٢،)]

فالحزن له آثاره السيئة على نفسية الإنسان وصحته، والإسلام
لحرصه على صيانة نفس الإنسان حرص على التحذير من الحزن.

وقد حذر القرآن الكريم من عمل الشيطان ونجواه للإنسان حتى يحزن.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ .
[المجادلة ١٠]

وصور أهل الجنة في فرحهم بذهاب الحزن الذي كان يصيبهم في الدنيا في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ . [خاطر ٣٤].

الحزن غير محبوب ولا مرغوب، وقد استعان منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن).

وقد أثبتت الدراسات العلمية المعاصرة الآثار السيئة للحزن والقلق على نفسية الإنسان، وصحته وحياته، ويكفي الإسلام عظمة أنه سبق كل اكتشافات العلوم في التنبيه إلى كل ما يضمن للإنسان السعادة، والسكينة وهدوء البال، وإلى كل ما يبعد به عن الحزن والقلق، وسوء الحال.

والإسلام يحث المسلم على السير والترحال في الأرض الواسعة، والنظر في كتاب الكون المفتوح، ليتأمل الجمال والإبداع الذي أبدعه الخالق، من حدائق ذات بهجة ورياض، وجبال، وأودية، وأشجار، ومياه وبحار، وورد، وطيور، وتلال، وجداول، وخمائل.

هذا السير والتأمل يوصى به الأطباء في عصرنا الحاضر، ففيه رياضة للجسم، وللروح.

ونجد الآيات القرآنية الكريمة وقد سبقت كل علوم الطب في الحث على السير في أرض الله الواسعة وتأمل خلق السماوات والأرض.

قال تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ ﴾ . (آل عمران ١٩١)

٢٥- الصلاة

والصلاة .. من العبادات التي تساعد في مجاهدة الإنسان لنفسه ،
وحيث نلاحظ ما تحدثه الصلاة من آثار إيجابية على نفسية الإنسان ؛
ندرك الحكمة العظيمة للخالق سبحانه في فرضها على المسلم ونقدر
عظمة الإسلام في عنايته بالإنسان وصيانة نفسه وروحه .

فالإنسان إذا عانى من مشاعر حزن أو خوف أو اكتئاب .. ثم قام
للصلاة .. ذهبت عنه هذه المشاعر السلبية جميعها .

وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ . (البقرة ١٥٣) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أهمه أمر قال : (أرحنا بالصلاة
يا بلال) فكانت سعادته وأمنه ، وراحته ، وهدوء نفسه .

وكان السلف من الصالحين إذا عانوا ضيقاً فرغوا إلى الصلاة حتى
تعود إليهم السكينة وهدوء خاطر .

وفرضت صلاة الخوف لتؤدي ساعة الحروب حتى تهدأ النفوس .
ولاشك أننا إذا لاحظنا الداخلين إلى المساجد للصلاة أو الخارجين
منها ، نجد ملامحهم الهادئة ، ومظهرهم المريح ، وبشاشاتهم الجميلة .
وفى المؤتمرات التي قدمت أبحاثاً علمية رأينا كيف أكد كثير من
العلماء بالتجارب العملية ، وبالأبحاث الأكاديمية .

وقد اتفق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،
مع ما جاء بالأبحاث من آثار رائعة لكل العبادات عامة ومنها الصلاة على
صحة الإنسان الجسدية والروحية وعلى علاجه وشفائه من الأمراض .

إن الصلاة كعبادة تمنح الإنسان شعورا بالراحة، والسكينة، والإرادة والقوة فهو يستشعر وهو يصلى بتلك الصلة العظيمة بينه وبين ربه، وتكون الصلاة بردا وسلاما على قلبه ونفسه. فالصلاة دعاء من الأعماق يتوجه به إلى خالقه قائلا (إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين) فى سورة الفاتحة التى يقرأها فى كل ركعة، فيشعر بهدوء نفسه وراحة باله. وحين ينتهى من الصلاة يشعر أنه ألقى بكل همومه وآلامه وآماله وأمنيته لدى الخالق سبحانه القادر على العون والإجابة لكل مطلب للإنسان العابد، الذى يذكره ويدعوه فيستجيب قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ١١٢].



الخاتمة

حاولت في هذا الكتاب تقديم صورة موجزة لكل من الجهاد الأصغر، وما يحققه من سعادة الإنسان، والجهاد الأكبر وما يضمنه الإنسان من سعادة في الدنيا والآخرة.

وفي عرضي الجهاد الأكبر حاولت تلخيص بعض القيم السلوكية التي تحقق هذه الغاية وهناك كثير من القيم الأخرى التي يمكن أن ينتهجها الإنسان لكن حسب أن قد قدمت هذه النماذج ملخصة في:

جهاد النفس وإلزامها وتعويدها على كل ما يضمن صيانتها بتحقيق مشاعر السكينة لها. تلك السكينة التي تعمر القلب وتمنح الإنسان قوة، وتفاؤلاً، وهدوء بال، واستبشار، وثقة بالنفس وبالخالق سبحانه.

وتلاوة القرآن الكريم تشفى النفس، وتسعد الروح وتذهب الحزن، وتسر خاطر، وتطمئن القلب وتشيع السكينة، وهذه المشاعر كلها يمكن أن تجتمع فيما نسميه سكينة النفس.

إن قراءة القرآن الكريم ترسخ شعور السكينة والطمأنينة في النفس، خاصة إذا أتلى بإمعان وحضور قلب. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس ٥٧].

ومما يحدث سكينة النفس (تقوى الله وطاعته) فلا يمكن أن تتحقق السكينة سوى للمسلمين الأتقياء فلا يمنحها الله سبحانه لأولئك الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾. (الفتح ٤)

إن السكينة تملأ قلب من يتقى الله سبحانه ويطيع أوامره ويعمل الصالحات ويعبد الله بإيمان خالص ويتقى محارمه فيكون ممن قال عنهم الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة يونس الآية ٦٤].

إن المؤمن وحده هو الذي يتقى أثر المصائب على نفسه فيصونه إيمانه ويحفظ نفسه، ويطمئن إلى قدرته سبحانه ورعايته لعباده، فيهدى قلبه إلى الرضا بقضائه والتسليم بما لا حيلة له فيه فهو يثق أن الله سبحانه هو النافع وهو الضار.. فيظل متمسكا بسكينة النفس ويسلم أمره لله.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة التغابن الآية ١١].

وتتحقق السكينة لنفس الإنسان حين يصبر على مواجهة متاعب الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة الآية ١٥٥].

والتحلى بالصبر، يجعل المؤمن متحليا بالسكينة والطمأنينة لأنه امتدى إلى الطريق الصحيح الذي يجب على الإنسان أن يسلكه عند حلول المصائب فهو بالصبر يملك (سكينة النفس) و(صيانة النفس) فيشعر أن ما أصابه ابتلاء فترتاح نفسه، ويطمئن قلبه.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. (البقرة ١٥٣)

والدعاء من أهم المقومات التي تمكن الإنسان من الاستمتاع بشعور السكينة.

فالمسلم يستشعر قرب ربه منه، وأنه سبحانه يستجيب لدعوة الداع المؤمن به، المستجيب لأوامره يفرح إليه داعياً أن يزيل ما به من هم أو كرب فتملاً السكينة قلبه، وتصلح نفسه، وتتوازن مشاعره حين يلجأ إلى (الدعاء) ويثق باستجابة الله له. قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة الآية ١٨٦].

الإيمان بالله سبحانه وتعالى والإيمان بقضاء الله وقدره من المقومات الأساسية التي تحقق لنفس الإنسان التوازن، والسمو، والسكينة. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمَلُ لِي لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [سورة الأعراف الآية ١٨٨].

إن فهم وتأمل هذه الآية الكريمة يزيد المؤمن شعوراً بالسكينة والطمأنينة، ويذهب عنه الحزن والقلق. ويحقق لنفسه وروحه الصيانة، والاستقرار، فهو يؤمن أن كل ما أصابه مكتوب فتهدأ روحه، وترتاح نفسه، ويشعر بالسكينة، ويذكر دوماً أن الله هو مولاه، وأنه يجب عليه أن يتوكل عليه ويركن إلى لطفه في قضائه، وإلى حكمته في أفعاله، فتطيب نفسه، ويهدأ باله.

ومن عوامل تحلى الإنسان بسكينة النفس وهدوئها وراحتها، وصيانتها (المحافظة على النعمة).

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهَ لَمَّ يَكُ مُعْتَرِا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال الآية ٥٣].

إن على الإنسان المحافظة على (نعم الله) ليظل الاطمئنان وتظل السكينة، ملء النفوس.

كما أن (إيمان الإنسان بحكم الله وابتلائه وامتحانه) عامل مهم من عوامل سكينة النفس.

فالله سبحانه له إرادة وحكمة فى تفاوت درجات الناس وفى أرزاقهم والإيمان بهذه الحقيقة يمنح الإنسان سكينة النفس، وهدوء الخاطر.

قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء الآية ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء الآية ٣٠].

وتتفاوت حظوظ البشر فى الخلق الجسمانى، والخلق النفسى، وفى المواهب، وفى الأرزاق.

أما التفاوت فى الدرجات فى الآخرة فهو أكبر وأعظم والله خبير بعباده، بصير بمن يستحق أن يكون ذا حظ عظيم فى الرزق، ومن يكون رزقه محدودا. وهو دائما عادل فى توزيع نعمه على عباده، ليبثليهم، ويختبرهم، ومن هنا فإن من أسس الشعور بالطمأنينة والسكينة: (الإيمان بالابتلاء والامتحان من الله سبحانه وتعالى لعباده).

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

مَتَى نَصَرَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ [سورة البقرة الآية ٢١٤].

وكثيرا ما يستبطن الداعون إلى الله النصر حتى ليتساءل بعضهم (متى النصر يا رب؟) لكن نصر الله قريب والإيمان بكل هذا يبعث الطمأنينة فى النفس ويدعو إلى التفاؤل فى انتظار زوال الهم والكدر إن حلوة السكينة والأنس بالقرآن الكريم ترد فى كثير من الآيات القرآنية.

قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا﴾. (التوبة ٤٠) والقرآن الكريم كله جالب للطمأنينة فى النفس، وباعث على هدوء البال وصيانة النفس إن صيانة النفس الإنسانية تنبع من القلب وسكينة النفس، مقرها القلب، والمسلم حين يقرأ القرآن الكريم ويتدبر آياته الكريمة يستمد منها السكينة وهدوء البال.. فما أحوجنا فى زماننا المليء بما يؤدى إلى التوتر والقلق إلى تلك (السكينة) الجميلة التى تملأ النفس قوة وثقة من خلال تدبر القرآن الكريم. وتقوى الله وطاعته، والتحلى بالصبر، والتوجه إلى الخالق سبحانه بالدعاء والإيمان بقضاء الله وقدره، والمحافظة على نعم الله الكثيرة التى حباها بها، والتمسك بالظفر بالنجاح فى مواقف ابتلاء الخالق سبحانه لنا.

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

- أحمد بهجت:** مقالات - صندوق الدنيا - جريدة الأهرام القاهرية -
نوفمبر ٢٠٠٨.
- محمد عبد الله عنان:** مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام - الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧.
- د. أحمد شلبي:** الإسلام والقتال ج١٣ - الهيئة المصرية العامة
للكتاب.
- د. أحمد شلبي:** من السيرة النبوية المعطرة - الهيئة المصرية العامة
للكتاب.
- ابن الجوزي:** سيرة عمر بن الخطاب.
- ابن خلدون:** الجزء الثاني.
- الترمذي:** فضائل الجهاد.
- محمد أبو زهرة:** نظرية الحرب في الإسلام...
- أنور الجندي:** عالمية الإسلام - دار المعارف سلسلة اقرأ ١٩٧٧.
- أحمد محمد الحوفي:** سماحة الإسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- د. محمود حمدي زقزوق:** هموم الأمة الإسلامية - الهيئة المصرية
العامة للكتاب ٢٠٠١.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل:** ج٥ - المكتب الإسلامي للطباعة
والنشر - بيروت.

د. محمد عمارة: الحضارات العالمية تدافع أم صراع- مطبعة نهضة مصر للطباعة ١٩٩٨.

عباس العقاد: عبقرية محمد- نهضة مصر ١٩٧٧.

عباس العقاد: حقائق الإسلام. وأباطيل خصومه - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩

سعید حوى: الرسول ﷺ - مكتبة وهبة.

د. عبد الصبور مرزوق: معجم الأعلام والموضوعيات فى القرآن الكريم ج١- الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن هشام: من السيرة النبوية- الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيد يوسف الجمل: الشجرة الزكية فى الأنساب وسيرة آل بيت النبوة.

ايتيين دينيه: محمد رسول الله- ترجمة د. عبد الحلیم محمود، وابنه محمد عبد الحلیم محمود.

محمد فتح الله كولن: إعلاء كلمة الله أو الجهاد- دار النيل للطباعة والنشر.

محمد فريد وجدى: السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة.

محمد صالح بن عثيمين: الضياء اللامع من الخطب اللوامع ط٢- الرياض ١٤٠٠هـ.

د. أحمد شلبى: توجيهات كبيرة يقدمها الرسول- الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١.

ابن كثير. ج٢.

سيرة ابن هشام.

طبقات بن سعد.

فهمى هويدى: الإسلام والديمقراطية - مركز الأهرام للترجمة

والنشر - مؤسسة الأهرام ١٩٩٣.

رجب البنا: المنصفون للإسلام فى الغرب - دار المعارف ٢٠٠٥.

البخارى.

النسائى.

ابن ماجه.

سنن الترمذى.